عن ساكني صنعاء

ورطة القاضي .. أم محنة الشاعر؟

عبدالله علوان

القاضي عبدالرحمن بن يحيى الآنسي هو نفسه الشاعر الحميني وهو الشاعر الغنائي العفيف عبدالرحمن بن يحيى الآنسي.

وبين القضاء والشعر وجه شبه خفي وجلي في آن .. خفي في الموقف والمقام ، فللقاضي موقف ومقام يختلفان عن موقف ومقام الشاعر، لكن هما يشتركان في الكشف عن الحقيقة والاجتهاد فيها. أو بمعنى أدق أن بين القاضي والشاعر تشابهاً وتمايزاً في آن ، فالقاضي يجتهد لبيان حقيقة الأمور المتنازع عليها، ويحتال لتطبيقها احتيال الخائف من انتقام أحد الطرفين المتنازعين ، واذا كان الاجتهاد حقاً له في معرفة الحقيقة والحكم بها بقصد العدل ، فان الاحتيال باطل وان كان العدل غايته.

أما الشاعر فانه يجتهد لبيان الحقيقة الشعرية وتقديمها في صورة بلاغية خالية من الاحتيال إلا بما يخدم الحقيقة الشعرية حتى وان ساطه النقاد بسياط النقد الأدبي ، بغية التقويم والتهذيب.

وبين الحقيقة الشرعية والحقيقة الشعرية مسافة واسعة هي المسافة بين قواعد الشرع ، وبين قواعد الشعر، أو هي المسافة بين القاضي الذي يتوخى الحقيقة الشرعية ، وبين الشاعر الذي يتوخى الحقيقة الشعرية .

والقاضي عبدالرحمن بن يحيى الآنسي عاش في الفترة من ١١٦٨هـ حتى وفاته عام ١٢٥٠هـ (١٧٥٦ ـ ١٨٣٤هـ) تقريباً وكان من اقطاب الدولة القاسمية وتولى فيها القضاء طول حياته وفي نواحٍ مختلفة من اليمن ، وكان رجلاً فاضلاً وشجاعاً يتوخى الحق ويقيمه بالاجتهاد ، أو بالاقناع تارة ، أو بالعنف والاكراه ، حيث لاينفع الاقناع والرضا ، تارة اخرى ، وكان هذا القاضي مع شجاعته وعلمه وعفته ، لايدخل في أمر إلا وعرف كيف يخرج منه ، وكان موقفه هذا يدخله في مأزق سياسية وقضائية ، كما يقول عنه العلامة محمد علي الشوكاني في (البدر الطالع ج ١) .

لكن عبدالرحمن بن يحيى الآنسي هذا مات عام ١٨٣٤م ، ولايعرف احد عن مهنته القضائية إلا ما كتبته المعاجم ، وكتب التاريخ ، ماعدا ذلك فقد مات وتغمده الله برحمته .

أما الشاعر عبدالرحمن بن يحيى الآنسي ، فهو الخالد في شعره ، وهو الحي في اشعاره التي يرددها المغنون في الاذاعة والتلفزيون ، وتنال الدرس الأدبي عند فقهاء الشعر الحميني ، عبر الكتب والمجلات والصحافة ومن اشعاره الجميلة هذه الجملة الشعرية :

عن ساكني صنعاء

وهذه الجملة الشعرية هي صدر البيت الأول من المبيتة الخامسة من قصيدته المعروفة (ياحي يا قيوم) اولى قصائد ديوانه (ترجيع الاطيار):

عن ساكني صنعاء ... حديثك هات وافوج النسيم
وخفف المسعى ... وقف كي يفهم القلب الكليم
هل عهدنا يرعى ..؟ ... ومايرعى العهود إلا الكريم
وسرنا مكتوم ..؟ ... لديهم أم معرض للظهور ..؟

ولبيان هذه المبيتة الخامسة ، لابد من الوقوف عند قصيدته (ياحي ياقيوم) مقطعاً مقطعاً حتى ندرك جمال الشعر الحميني من حيث الموضوع الجمالي ومن حيث التركيب اللغوي والبناء العروضي ، أو ما يعرف بموسيقى القصيدة .

تتكون قصيدة ياحي ياقيوم من اربعين بيتاً وفق اصطلاح شعراء العمود ، ولكن هذه الابيات موزعة على عشرة مقاطع بيتية من نسق الشعر الحميني ، "المبيت" وفق اصطلاح شعراء الشعر الحميني وانساقه ومصطلحاته .

فالبيت الحميني هو مقطع شعري لايقل عن بيتين كما هو حال قصيدة "ما للفراق ليت الفراق لاكان" وقد يصل المقطع إلى ثمانية ابيات كما هو الحال في قصيدة "ياقدير يامقدر" ولكنها غالباً ما تقوم على اربعة ابيات كما هو حال هذه القصيدة (ياحي ياقيوم).

وقد يبدو المقطع الحميني ، مستقلاً من حيث التقسيم الشكلي عن بقية القصيدة ولكن هذا المقطع المبيت يرتبط من حيث المضمون ارتباطاً ليس عضوياً ، وانما ارتباطاً شعورياً بالقصيدة ، أي ان القصيدة تقوم على نسق شعري واحد ، ولكنه نسق مقسم تقسيماً منهجياً ـ شعورياً ، فكل قسم يأخذ عدة مقاطع شعورية ، وكل مقطع شعري هو جزء من اقسام القصيدة الكلية.

في قصيدة " ياحي ياقيوم" ينقسم الموضوع الجمالي إلى ثلاثة اقسام شعرية. فالقسم الأول يتكون من خمسة مقاطع شعرية هو مدخل إلى القصيدة، أو مقدمة لها ويمكن تسمية هذه المقدمة بالورطة ـ ورطة القاضي في مهمته ..

ويأتي القسم الثاني ليقول مقاصده الشعرية أو الموضوع الجمالي المقصود وهو محنة الشاعر الوفي ،نقض العهود من قبل احبابه ..

أما القسم الثالث فهو النهاية ويطلب من المستمع الصلاة على الرسول الذي يتصف بالعصمة دون غيره من البشر.

يتكون القسم الأول من اربعة مقاطع شعرية هي دعاء وابتهال لله والتوسل برسوله بغرض التحرر من الاحزان والتطهر من البلوى واللجوء إلى الله والاستسلام لقدره ، بعد أن (خابت آماله) باحبابه ، وتنكروا له .

فالبيت الأول دعاء لله يدعو الشاعر ربه بصفاته الدائمة فهو الحي القيوم وهو "العالم بما تخفي الصدور" وهو الذي يرزق المحروم ، وهو نصير المظلومين من الطغاة الجائرين ، وهو القادر على تنفيذ كل قضاء وقدر في المؤمن وفي الكافر أنه لفعال لما يريد :

ياحي ياقيوم ... ياعالم بما تخفي الصدور
يارازق المحروم ... يامن بحر جوده لايغور
يا ناصر المظلوم ... يا ذا الانتقام ممن يحور
يا منفذ المحتوم ... في الساخط وفي الراضي الغفور

وهذا الدعاء يفضي إلى السؤال والتوسل :

أسألك يارحمن ... بالنور الذي لاينطفي
سيد ولد عدنان ... حبيبك من توسل به كفى
ان تذهب الاحزان ... والامحان باللطف الخفي
وتكشف المهموم ... وتكفينا مهمات الامور

وبعد التوسل وطلب اللطف من الله بازالة الاحزان وكشف المهموم وتجنيبه "مهمات الامور" مع العلم ان في مهمات الأمور هذه يكمن اعترافه بورطته التي لايعلمها إلا الله .. فلقد تجشم الشاعر مهمة ، إما ان تكون مهمة قضائية بحكم المهنة ، وأما ان تكون مهمة سياسية تتوارى خلف جبة القاضي ، ثم قام بتأديتها وتنفيذها بطريقة لم تعجب أحبابه من اقطاب الدولة القاسمية ، فذاق الأمرين : مرارة الحقيقة التي نفذها من جهة ، ومرارة احبابه في صنعاء من جهة اخرى ،

وفي ذلك كان ضعفه وعاقبة تنفيذه مهمات الأمور ، التي بدورها كانت السبب في الدخول إلى مكابدة وحمل اثقال تلك المهام فكانت الهموم والاحزان ..؟

وبعد السؤال والتوسل ينتقل الشاعر إلى المقطع الرابع وفيه نجد بيان الحال حال الشاعر أو حال للقاضي :

قد ضاقت الاحوال ... وضاع الاحتيال والاجتهاد
وخابت الآمال ... إلا فيك يارب العباد
فخفف الاثقال ... وداوِ بالصلاح داء الفساد
وسامح المأثوم ... واغفر أنك الرب الغفور

المبيتة اعلاه تصور حالة القاضي وضيق حاله وعجزه عن الاحتيال وعن الاجتهاد بغية الخروج من ورطته ثم خيبة آماله ، باحبابه بسبب تحمله عبئاً ثقيلاً ، هو عبء المهمة التي لايعلم كنهها إلا الله.

وهذه المبيتة هي في الحقيقة تكشف عجز القاضي المتورط بامر هام ..؟ وامر كان قصده منه الخير، فانقلب مسعاه إلى ويل ، وكان هذا العجز عجزه ، وليس عجز الشاعر ولكن هذه النية الطيبة ، كالورطة بقيت في علم الله.

لكن القاضي يرتدف الشاعر ويتجه به إلى الله طالباً العفو والتسامح عن أثمه .. ويطالب المغفرة عن آثامه التي ربما تكون آثام القاضي ليس آثام الشاعر.

ومن بيان الحال ينتقل الشاعر إلى المبيتة الرابعة ليعلن عن الحالة الاضطرارية التي تورط بها مجبراً لا مخيراً ، وورطة لم يقلها بصراحة ، ولكنه اوحى الينا بها ، عبر لفظة " المضطر" فقد اضطرته وظيفته القضائية إلى عمل فعل ارتجله ، واضطرار دفع به إلى الضر والاساءة وبسببه راح يطلب من العلي القدير العفو :

من يرحم المضطر ... أمن ذا يجيبه إن دعاه
ومن لدفع الضر ... وكشف السوء إن أعيا دواه
إلا الله الاقدر ... على ما شاء والمقدر سواه
الموجد المعدوم ... والمعدم وجوده بالدثور

وبهذا المقطع ينتهي القسم الأول، وهو قسم يوحي بجريرة القاضي وهي جريرة عجز عندها الاجتهاد والاحتيال وألجأه عجزه إلى الله العلي القدير ، فسلم امره له واعترف بجريرته اعترافاً غير مباشر ، ولكن ليس عبر القاضي، بل عبر الشاعر، لقد ارتدف القاضي الشاعر وراح يتطهر من ذنبه، لانه لم يكن ذنباً مقصوداً ، وانما كان فعلاً محكوماً بالنية الطيبة كما قلنا، ونية لم يفصح عنها الشاعر ولكنه تركها لله " العالم بما تخفي الصدور" وكفانا مهمة البحث عنها.

وما ان يغادر قسم التوبة والتطهر من الذنب حتى ينتقل إلى القسم الثاني وموضوعه "العهد" الذي ابرمه مع احبابه فنكثوا به، ولفقوا عليه تهمة النكث بالعهد وراح يدفع عن نفسه التهمة بالايمان الصادقة .

ففي المقطع الخامس، وهو بيت القصيد عندنا، ينتقل الشاعر مباشرة إلى العتاب، والاستنجاد بافواج النسيم وان تأتيه بالحديث عن احبابه ويكني عنهم بساكني صنعاء:

عن ساكني صنعاء ... حديثك هات وافوج النسيم
وخفف المسعى ... وقف كي يفهم القلب الكليم
هل عهدنا يرعى ..؟ ... ومايرعى العهود إلا الكريم
وسرنا مكتوم ..؟ ... لديهم أم معرض للظهور ..؟

لقد ارتكب القاضي جريرة قمطها بالابتهالات الدينية وبالادعية المقتبسة من القرآن، فقد وقع القاضي في ورطة سياسية أو قضائية ارتدف لها الشاعر وتغطى بها ، ثم راح عبر الشاعر يستنجد بالنسيم ليخبره عن سكان صنعاء.

وسأله ان يسعى إليه سعياً خفيفاً حتى لايفزعه أو قل راح يطلب من النسيم ان يقف وقوف المتكلم ، الرابط الجأش ويخاطب القلب الكليم خطاباً لطيفاً حتى يتفهم القلب اخبار احبائه القادمة إليه عبر افواج النسيم.

ثم سأله عما اذا كان سكان صنعاء "وهم كناية عن احبابه" مازالوا مراعين لعهده ثم يردف استفهامه بشطر شعري يمتدح به الاوفياء بالعهود "فما يرعى العهود إلا الكريم".

وسؤال ثالث يسألهم عما اذا كان سره مكتوماً ام ان سره قد فشا وذاع بين الناس، وفي هذا السر الذي لايعلمه غير الشاعر، تكمن ماساة الشاعر ومحنته؟ الشاعر هنا ، او القاضي قلق وحزين القلب، وكسير النفس ، ومجروح من احبابه ناكثي العهود، وملفقي تهمتهم عليه، ويعبر عن قلقه هذا وعن حزنه وجرحه بلغة الشعر الغزلي فالنسيم رسول عشاق مفارقين والتلطف بالسؤال من خصائص شعراء الغزل.

يتبع

قصة قصيرة

حكمة الغراب...!

محمد عمر بحاح

غراب على نافذته أقلق نومه ..

أيقن أنه في بيته وإنه عاد البارحة فقط ... استلهم الصباح . نزل الى الشارع كان لا يزال متدثراً بندى الفجر تأكد أن كل شيء فيه ملتصق في مكانه ، الرأس ، العينان ، الأنف ، الشفتان، اليدان ، الساقان . أيقن أنه هو هو ولا أحد سواه ....

لماذا بدت له الشوارع غير الشوارع ، والمدينة غير المدينة . والناس غير الناس ؟

لطالما عفّرها بعرقه وعطره ! لم يعد للزعفران رائحته لم يعد للفل والكاذي أريجهما على الارصفة عربات تزعق . لم يفهم لماذا تترك البضائع الحوانيت وتفترش الطرقات ! حلق غراب فوق رأسه ونعق "قاق، قاق ، قاق" تعثر بأكداس من النفايات وداهمته روائح كريهة في عثرته التبست أفكاره : هل هي المدينة نفسها .. أم عاد الى أخرى يراها لأول مرة ؟!

قاق ... قاق ..صاح الغراب .

بصعوبة ، وجد موطئاً فدس فيه قدميه . داهمته ذكريات بعيدة.. الوجه هلال الشعر والعينان بسواد الليل وضحكها مثل نهار وعطرها ما زال في أنفه .

كانت امرأة تكفي لحبه ولهذيانه ، امرأة سخية تعرف كيف تحب ؟ وكيف تصعد مدارج روحه؟ أين هي الآن ؟

صارت لرجل آخر لام نفسه لأنه لم يعرف كيف يصون حبها ولا كيف يدافع عنها فعبرت الى رجل سواه ، يضعها كزينة ويسورها بالخناجر فتطوقه بهدير حارق !

قاق .. قاق .. قاق .

يواصل الغراب نعيقه ثمة عربات ناعقة تتدفق على الشوارع ثم ناس لم يعرف أحداً منهم أو عرفوه .

أحس بأنه غريب في مدينته يقطعها الشوارع بكل الاتجاهات لا يحس الألفة القديمة ولا لامست روحه روائح زمان ، ولم يجد أثراً للأصدقاء ..

أين هم ؟ قاق ! لماذا لا يصادف أحداً منهم ؟

قاق ! بعد عصر كل يوم يحتشدون في مقهى زكو ..

يرفعون الأكواب ويحتسون الشاي ويقتنصون الضحكات العابرة هندية بسار ، عدنية بشيدر ، وفتاة أجنبية بميني جيب أو بشارلستون . همسة ملفوفة بعطر عربي ورائحة صندل. قاق ! .. لا زكو .. ولا نكهة نعناع ، ولا ألفة الاصدقاء ، ولا نساء يطعنه بعطرهن ، ولا كائنات تؤنس وحشته .. الروح .

قاق ..قاق .. قاق .

جرجر قدميه حتى البحر ، الماء هنا وملحه لعله يصله بالجهات الاربع .. قاق ، هل هو نفس الغراب وقد تبعه حتى هنا .. كان يستلهم البحر كل صباح ، يجده دوماً في انتظاره يدحرج موجه وضحكته يعد له ما استطاع من الزبد .

يفرك قدميه الحافيتين بحنو يدعك أصابعه .

يوشوشه ويزيل كل أرق لديه ، أما الآن .. قاق ، لا شيء من ذلك ! قاق .. قاق .

انسكب كله هناك كل عمره المراق ..قاق !

وكل ما تبقى من بقاياه ..قاق! الماء هنا وثمة عتاب بينهما : كنت تأتيني لاهثاً ومن كل موت تعود ! قاق .. ثمة امرأة كانت تأتي معك ولم تعد تأتي بعدك ! قاق .. كانت تبلل شيدرها بدموعي وترطن بلغة لا يفهمها سواي. حملت أوجاعك ، وحين ذهبت أودعتني حزنها .

صاح الغراب:

قاق .. قاق !

– وأين هي الآن ؟

قال البحر :

– حضنتها حتى الاعماق !

:

– قاق . قاق . قاق !

– هل ثمة امرأة كانت هنا ؟

– قاق !

– وهل ثمة بحر كان هنا ؟

– قاق !

تدلى من حالق ! حلق الغراب فوقه .قال: ربما لو صعدت الجبل ، ونظرت إليها من فوق ، ترى بهاءها المعتاد ومهابة تكفيك . تذكر إنه كان يصعده دوماً ، وأول مرة صعدة في رحلة مدرسية مع تلاميذ صفه بسروال قصير وقميص أخضر ، ومن هناك رآها بأبهى جلالها ، ملكة لا تضاهيها امرأة في الجمال ، امرأة تكفي لأن يحبها كل الرجال ، ويموتوا تحت قدميها بدون سؤال .. قاق .. ثم قاق .. وقاق .. وقاق !

ستقتلك الاحزان ، لعلك حين تراها تفجع من أين ستبدأ ؟

قاق .. أي الطرق سوف تسلك ؟

كل الطرق إليها موصدة .. معاشيق ؟ قاق ! صيرة ؟ قاق ! حقات؟ قاق .. كانت امرأة من ماء .. احبتك حتى الجنون وفي غفلة " ظهر أحمر " تركتها لسواك ، لا أحد يترك عدنية ويعتذر عن هذا الحب أو يطلب الصفح !

ها أنت والغراب ، وهذيانك المجنون بين الجبل والبحر ، تسأل البحر فيحيلك الى الجبل ، وتسأل الجبل عنها فيقول لك الجواب يملكه البحر . وأنت تتدحرج بين هذا وذاك ، ولا تجد الجواب سوى ما يقوله الغراب ..قاق .. قاق .. قاق ! الغربان تنطق حكمتها :" الداخل مفقود والخارج مولود "!

وأنت اضعت الحكمة منذ غادرت ولم يسمع بك أحد فلماذا عدت الآن ؟..

بأي فضاء تحتمي .. قاق .. هذا الغراب سيصيبك حتماً بالجنون ! مرة الى البحر تعدو وتارة الى الجبل .

والغراب ينعق في آخر هذا الليل ! كم من العواصم مررت عليها ولا واحدة حمتك ؟! كم من النساء عرفت ولا امرأة أحببت ؟ كم من الغربان نعقت في سماواتك ولا غراب نطق بحكمة غراب هذه المدينة ؟! من أقاصي الحزن والاغتراب عدت .. هي هنا في دمك ، وفي كل أغنية من أغانيك ، هي هنا تسكنك وفي نسيج الروح ، أينما ذهبت حملتها معك أسطع من كل المدن .. وأبهى من كل نساء هذا .. الكون ! وأنت أيها الغراب كم ستنزف من نعيب .. قاق .

. قاق .. قاق !

ثم بحر أقرب من حبل الوريد .. قاق !

ثمة امرأة .. قاق !

ثمة غراب .. قاق .. قاق .. قاق !

ثم رجل وحيد ، يبحث عن امرأة تأويه ، وتنهض لملاقاته ..

قاق .. قاق .

ماذا يفعل رجل وحيد سوى الاصغاء لحكمة الغراب ؟!

يمضي ويبقى البحر .. ونعيق الغربان وحكمتها الازلية ..

قاق .. قاق ..قاق !

عدن

٢٤ مارس ٢٠٠٦م

غسّان بن جدو في حوارٍ مع "سبأ نت" :

الإعلام العربي أصبح مؤثراً ولم يعُد صوتاً دعائياً على الساحة العربية

غسان بن جدو الصحفي المهذب غني عن التعريف، جاء إلى الصحافة من بوابة الكتابة والبحث، وأختار مكتب الجزيرة في بيروت بدلا عن القاهرة وعمان قبل أن تصبح بيروت في فوهة البركان . كانت قناعته أن لبنان سيكون الساحة المركزية الأولى في البلاد العربية، عقب قراءة سياسية في صيف ٢٠٠٤م.

غسان أول إعلامي عربي تمنحه الأكاديمية البريطانية درع الإعلام العربي، كما اختير كأفضل محاور عام ٢٠٠٤م، وأفضل برنامج في ٢٠٠٥م، وجائزة أفضل مقدم برنامج من مهرجان الإعلام العربي الرابع في بيروت عام ٢٠٠٦م.

غسان يؤكد انه لو خير بين العمل التلفزيوني والكتابة لاختار الكتابة، " فالقلم يبقى الملك المتوج بامتياز". وهنا يتحدث عن الإعلام وإيران وتجربته الشخصية .... وهاكم حصيلة الحوار :

● كان لكم رؤية معينة حول حرية الإعلام طرحتموها في مؤتمر الديمقراطية و الإصلاح السياسي وحرية التعبير الذي انعقد مؤخرا ما هي هذه الرؤية ؟

– النقطة الأساسية التي وددت أن أتحدث بشأنها فيما يتعلق بحرية الوصول إلى عالم المعلومة، ونقل المعلومة وتداولها، أن الإشكالية ليست في الوصول إلى المعلومة ولكن في كيفية نقل المعلومة، لأن الوصول إلى المعلومة عمل الاستخبارات، ولكن نقل المعلومة هو عملنا نحن كإعلاميين، مشكلة الحكومات وأجهزة الأمن في العالم العربي لا تريد أن تنقل المعلومات ، والمعلومات تعني أن تنقل الواقع كما هو، فيما يتعلق بالحريات وبالنضال والديمقراطية، والفساد والاحتلال وغيرها.

ينبغي أن نناضل من أجل حقنا في تداول المعلومة كما هي، ونقل الواقع كما هو لا كما يريده الحاكم ولا كما تريده المعارضة.

– النقطة الأخرى أنه مع كل الضغوط الحاصلة، الإعلام العربي حقق تقدماً ملحوظاً، والإعلام العربي أصبح مؤثراً في الساحة العربية . ويجانب الصواب من يقول أن الإعلام ما زال مجرد صوت دعائي" بروبجندا" للحاكم أو مجرد آلة تحريضية، كلا. الإعلام العربي اصبح مؤثراً ، وخاصة الفضائيات .

● لكن هناك فاتورة يدفعها الصحفيون مقابل هذا التطور في الإعلام العربي ؟

– هذا أمر طبيعي ، وما أقوله أن على الحكومات وعلى أصحاب الشأن ألا يتعاطوا مع من يريد أن ينقل المعلومة أو الواقع كما هو باتهام بأنه دائماً يحرض على الفتنة ويحرض على الاستقرار ، هذا غير صحيح ولكن في الوقت نفسه أن هناك من يتهم أطرافاً إعلامية بأنها عميلة للامبريالية والقوى الخارجية بحجة أنها تريد أن تدفع باتجاه الديمقراطية والإصلاح ، وهذا أمر غير صحيح حتى وإن كانت الولايات المتحدة ترفع شعار الديمقراطية والإصلاح ، هذا شأنها .

● طرحت عدم أدلجة المعلومات، ماذا تقصد ؟

– أنا أرفض أدلجة المعلومات وتسييسها ، أنا مع الرأي المسيس ولكن لست مع المعلومة المسيسة أو المؤدلجة، نحن ينبغي أن نخرج من المرحلة التي نغربل فيها المعلومات إما خدمة للحاكم ، أو خدمة لحزب ما ، أو رجل دين ما ... هذا ليس شأننا ، المواطن العربي أصبح في حاجة ومن حقه أن يعرف المعلومات كما هي ، أن تستخدمها الحكومة بطريقتها فهذا من حقها وأما أن تستخدمها المعارضة فهذا من حقها ، بمعنى أن يرتب هذه المعلومات في إطار سياسي فمن حقه ، أما أن نؤدلج المعلومة ونقول أن هذه المعلومة من حق المواطن أن يعلمها وهذه ليس من حقه فأنا ضدها .

● قلت أن هناك تطورات في الإعلام العربي ، قد يصدق هذا على الجزيرة وبعض القنوات الأخرى، لكن بالمقابل سعت بعض الأنظمة لاستهداف الإعلام الحر بإنشاء قنوات ؟ تحاول ضرب الجزيرة ، وهذا يطرح السؤال هل فعلاً هناك تطور في الإعلام الفضائي المستقل ؟

– أنا لا أريد أن أبخس الزملاء أو القنوات الأخرى ، هل هي جاءت لضرب الجزيرة ، أم أن أنظمة تستخدمها ، هذا شأنها ، لكن ماهو حاصل أنه في كل مرحلة كان هناك قنوات فضائية كان لها صوت في السنوات الماضية ، ينبغي أن نقر أن قناة أبو ظبي على سبيل المثال كانت قناة جيدة ومهمة ومؤثرة ، تراجعت هذا أمر آخر ، قناة المنار لا تزال قناة مهمة ومسموعة وقناة العربية قناة مؤثرة ومشاهدة ، هل نتفق مع رؤيتها أو نختلف هذا شأن آخر أنا لا أرى ضيراً في أن يكون هناك أكثر من قناة جزيرة في العالم العربي ، وأن يكون في كل بلد عربي قناة أشبه بالجزيرة.

● هل تتوقع أن يكون الوطن العربي في يوم ما بدون قناة الجزيرة ؟

– لا أتمنى ذلك ، ضرب قناة الجزيرة وإسكات صوتها إن حصل في يوم ما سيكون لي إحباطاً شديداً حتى ولو غادرت قناة الجزيرة ، ولا أعتقد أن هذا الأمر سيحصل .

● توجه إليك انتقادات أنك تستنبط من ضيوفك ما تريده أنت ؟

– أولاً أنا دوري كمحاور أن أستخرج من الضيف المعلومة والموقف والرأي ، وكل ضيف أحاوره على طريقته ، ليس هناك نموذج واحد لمحاورة الضيوف لأنني من الناس الذين يدرسون شخصية الضيف قبل التحضير للحلقة، ولكن لا شك عندما أدخل إلى البرنامج لدي محاور أساسية أحضرها ، وأتمنى أن الذين يناقشون أن يكون نقاشهم ضمن هذه المحاور ، وليس محاور أخرى و إلا أصبحت فوضى .

ونحن لدينا تقليد غير سليم في الأوطان العربية ، أن الضيف يريد أن يتحدث بالطريقة التي يريدها، ويتحدث ساعات، هذا لم يعد جائزاً، أنت عندما تقبل أن تكون ضيفاً وتتفقان على المحاور الأساسية للحوار ، نلتزم بهذه المحاور .

● على المستوى الشخصي، ما هو برنامجك اليومي في القراءة ؟

– أنا من الذين يستيقظون باكراً، حوالي السادسة والنصف أو السابعة أكون في مكتبي ، وأول ما أفعله هو تصفح الانترنت، والاطلاع على بنوك المعلومات المشترك فيها، طوال النهار أقوم بالتحضير للبرنامج، وللعلم لا يكون التحضير للبرنامج في أسبوع فقد يكون قبل أشهر، لأنه يتطلب قراءة ومتابعة، وبالنسبة للقراءة، أنا نهم جداً على القراءة ، وأقضي حوالي ثلاث ساعات في القراءة.

● قلت في إحدى مقابلاتك أن الكتابة تستهويك أكثر من العمل التلفزيوني ؟

– أعتقد أن العمل التلفزيوني هو الأكثر تأثيراً ، وأنا أتلذذ بالعمل التلفزيوني وأعتقد أنه يؤدي برسالة، ولكن لو خيرت في نهاية حياتي بين أن أكون تلفزيونياً أو كاتباً فسأختار الكتابة، وأعتقد أن القلم يبقى هو الملك المتوج بامتياز ؟

● ما هو العمل الصحفي الذي قمت به وأثار ضجة على المستوى العالمي خلال مشاورك الصحفي ؟

– أعتقد أن حواراتي مع القادة الايرانيين كانت مهمة وأثارت حديثاً في الساحة العربية والامريكية ، خصوصاً أول حديث مع د. محمد خاتمي ، ورفسنجاني ، والحديث مع حسن نصر الله فجر سجالاً كبيراً في الساحة اللبنانية وحديث أخير مع الرئيس أمين لحود وهو أول حديث مع وسيلة إعلام عربية، وأعتقد أنه أهم حديث له ، والحوار مع بشار الأسد كان له ردود أفعال كبيرة.

● وربما هذا ما رشحك لجائزة أفضل مذيع يجري حوارات عام ٢٠٠٥م في الشرق الأوسط ؟

– عام ٢٠٠٤م اخترت أفضل محاور ، وفي ٢٠٠٥م اخترت أفضل برنامج ، وهذا العام ٢٠٠٦م ، حصلت على جائزة أفضل مقدم برنامج من مهرجان الاعلام العربي الرابع في بيروت .

وأخيرت أخيراً وهذا أتحدث عنه لأول مرة بأن الأكاديمية البريطانية ستمنحني هذا العام درع الاعلام العربي . وهذا يمنح لأول إعلامي عربي .

● طيب لماذا فضلت بيروت لتكون مديراً لمكتب الجزيرة فيها ، بدلاً عن عمان والقاهرة ؟

– فضلت بيروت لأن جزءاً من عائلتي لبنانية ، وأحمل الجنسية اللبنانية ، ثانياً كنت عالم الصحافة من زاوية البحث ، ربما هذا سبب فيما تفضلت به ، وأعتقد أنه لا مستقبل للصحفيين إذا لم يكونوا مثقفين، هناك فرق بين الصحفي المؤثر الذي يسمع ويدوم ويستمر وبين الصحفي ناقل الخبر ، نحن صحافيون ولسنا سعاة بريد فقط ، مع احترامي لهذه المهنة ، والذي لا يثقف نفسه ولا يتابع ، سيصل إلى رقم عادي في هذا الكم من الصحفيين ، وأي صحفي يريد أن يصل إلى مستوى معين من التأثير ينبغي أن يكون مثقفاً .

أما عن الحضور الإسلامي ، أنا لا أعتقد أن هناك حضوراً اسلامياً مكثفاً من برامجي التي أقدمها ، ولكن هناك حضور لأن الاسلاميين مؤثرون في الساحة العربية ، اتفقنا معهم أم اختلفنا ، هم جزء أساسي في صناعة الشارع العربي والسياسات العربية .

إذا سمح للانتخابات أن تكون نزيهة فلا شك بأن الاسلاميين سيكون لهم صوت أساسي ، كما حصل في مصر ولبنان والمغرب ، والجزائر ، وكما سيحصل في دول أخرى .

● هذا جزء من استشرافك كباحث ؟

– هذا واقع موجود ، ويجب أن نقر به، اعتقد الآن أننا تجاوزنا التعاطي فقط مع الحركات الاسلامية وبدأ يظهر ما يسمى بالمؤتمر القومي الاسلامي، وهو عبارة عن ائتلاف بين الاسلاميين والقوميين وبعض اليساريين ، وهذا التكتل أعتقد أن له مستقبلاً كبيراً إذا استطاع أن يعمل على المستويات القطرية .

● عملت كثيراً في إيران ، وكتبت حولها الكثير، باختصار إلى أين تتجه إيران ؟

– أيران تتجه إلى أن تفرض نفسها كقوة إقليمية كبرى، أريد تحجيمها ومحاصرتها ، لم ينجحوا في هذا الأمر، عامل الجغرافيا له تأثير، وكذلك السكان والتاريخ والاقتصاد وقوة السلام، وهذه لها قوة داخل إيران .

إيران تتجه لتكون جزءاً من النادي النووي، وأمريكا تتعامل معها على هذا الأساس، وإيران تحقق نجاحات أساسية في هذا الأمر، وينبغي ألا تبرز إيران جانبها الشيعي، وإذا غلبت إيران ذلك الجانب في المنطقة العربية فإنها ستخسر، وإن ربحت في بعض الساحات لكنها استراتيجياً ستخسر، ولننظر إلى حزب الله في لبنان قاعدته شيعية لكن أفقه وطني عربي ، وإسلامي ، وهناك تأييد كبير له في الساحة اللبنانية لأنه لم يتصرف كحزب شيعي .

● قبل أن نختم كنت قد انتقدت احتكار الإعلان في الوطن العربي ، لماذا هذا الاحتكار والذي تأثرت به قناة الجزيرة ؟

– سوق الاعلان تهيمن عليه بشكل أساسي دولة رئيسية وشركات الاعلان هذه مصالحها ولأن مصالح تلك الشركات مرتبطة بنسبة ٨٠٪ بتلك السوق فهي تحاصر قناة الجزيرة ، والمشكلة ليست لها تأثير على الجزيرة ، طالما تمويلها من دولة قطر .

● لكن هذا يؤثر على بقية القنوات الحرة أو التي تريد أن تظهر ؟

– القنوات الأخرى والصحف الأخرى سيؤثر عليها بشكل أساسي ، الاحتكار الإعلامي مضر بالإعلام والاعلان، لكن هناك مسألة خطيرة أن شركة الاعلان لم تعد تمول بعض القنوات بل أصبحت تزور استطلاعات الرأي، وتساهم في تزييف الوعي العربي.

● هل تتوقع أن تكون يوماً مديراً لقناة الجزيرة ؟.

– لا أتوقع ولا أتمنى ذلك .أنا صحفي ، ومسرور بعملي ، وبالمناسبة حتى إدارة مكتب بيروت أتوقع أن أتركه في وقت متوسط ، لأعود للعمل الصحفي والكتابة .

● كلمة أخيرة توجهها للصحفي العربي

– أولاً المهنية ، ثانياً الثقافة ، ثالثاً التواضع إضافة إلى الجرأة وعدم المجاملة والتهذيب وأنا من أنصار ثقافة التهذيب ، وهي لا تعني المجاملة ، ولكن الجرأة مع إحترام الناس

● هل لديكم كتب اصدرتها ؟

– نعم ، حول الخطاب العربي والمستقبل، وحول إيران ، ومساهمة في كتاب حول الإعلام العربي والفضائيات ، والآن بصدد

لا مستقبل للصحفي ما لم يكن مثقفاً وهناك اختلاف بين الصحفي المؤثر وناقل الخبر